﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ۝٥٣ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ۝٥٤﴾ [النجم: 53 - 54]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَينِ لِما قبلَهُما:

تتابعٌ في عرض عذاب الأمم الظالمة واستئصالها

بعد أنْ ذكر الإهلاك الشديد لعادٍ الأولى وثمودَ وقوم نوح؛ أتبعه بذكر إهلاكه لقوم لوط ﷺ بالائتفاك، فقال: ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ﴾.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ﴾: جذرُهُ اللُّغويُّ (أفك)، وأصله أنْ تَقْلِبَ الشَّيءَ، وتَصرِفَهُ إلى غير جِهَتِهِ، ويُؤْفَكون: يُصْرَفونَ عنه بالكذبِ والباطِلِ[1]، وأكثرُ ما يُستعمَلُ في الكذبِ؛ "لأنَّ الكذبَ صَرْفُ الكلامِ عمّا ينبغي أن يكونَ عليه"[2]، وكلُّ ما ورَدَ في القرآنِ الكريمِ من اشتقاقاتِ هذه المادَّةِ اللُّغويَّةِ؛ فهو بمعنى التَّغيير، والصَّرفِ عنِ الوجهِ الصَّحيحِ الَّذي يَجِبُ أن يكونَ، ماديًّا أو معنويًّا[3]، ومعنى ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ﴾: قرى قوم لوط؛ سُمّيت بذلك؛ لأنَّها ائتفكتْ بأهلها، أي: انقلبتْ بهم[4].

2) ﴿أَهْوَىٰ﴾: أصلُ (هوي) يَدُلُّ على خلوٍّ، وسقوط، أصلُهُ الهَواءُ بَينَ الأرضِ والسَّماءِ، سُمّيَ لِخُلُوِّهِ، ويُقالُ: هَوَى الشَّيءُ يَهوي: سَقَطَ، والهاويَةُ: جَهَنَّمُ؛ لأنَّ الكافِرَ يَهوي فيها، ويَقولونَ: الهَويُّ ذَهابٌ في انحِدارٍ، والهويّ في الارتِفاعِ، وسُمّيَ هَوى النَّفْسِ بذلِكَ؛ لأنَّه يَهْوي بصاحِبِه في الدُّنْيا إلى كُلِّ داهيَةٍ، وفي الآخرةِ إلى الهاويَةِ[5]، ومعنى ﴿أَهْوَىٰ﴾ هنا: ألقى من علوٍّ، أي: رفعها في الجوِّ، ثم أسقطها في باطنِ الأرض[6].

(1) ابن دريد، جمهرة اللّغة، وابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات: (أفك).
(2) السّمين، عمدة الحفّاظ: (أفك).
(3) محمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (أفك).
(4) الآلوسي، روح المعاني: 14/ 70، وابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 154.
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة، والرّاغب، المفردات، والزمخشري، أساس البلاغة: (هوي).
(6) حاشيتا القونوي وابن التمجيد على تفسير البيضاوي: 18/ 303.

3) ﴿فَغَشَّىٰهَا﴾ - ﴿غَشَّىٰ﴾: أصلُ (غشى) يَدُلُّ على تَغْطيَةِ شَيءٍ بشَيءٍ، يُقالُ: غَشَّيْتُ الشَّيءَ أُغَشّيهِ[1]، ويُقال: غُشيَ عليهِ، فهو مغشيٌّ عليه، وهي الغَشْيَة[2]، والغِشاوَة: ما غَشيَ القَلبَ من رَيْنِ الطَّبْع[3]، وتَغَشَّى ثيابه واستغشاها: تَغَطَّى بها؛ كي لا يَرى، ولا يَسْمع: ﴿وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ﴾ [نوح: 7][4]، والغِشْيانُ - بالكَسْرِ - الإتيانُ، يُقالُ: غَشيَهُ؛ إذا أتاهُ، ثُمَّ كُنّيَ به عَنِ الجِماعِ كما بالإتيانِ، ومَن فسَّرَهُ بالتَّغطيَةِ، فقَد سَها[5]، ومعنى قوله: ﴿فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ﴾: غطّاها، وألبسها، وكساها، وأصابها أمرًا عظيمًا من حجارةٍ محماة، وغيرها ممّا لا يسعُ العقول وصفه[6].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

كيفيَّةُ إهلاكِ قوم لوط عليه السلام

قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ﴾ يشير إلى أنَّ المخسوفَ بها، المقلوبَ أعلاها أسفلها، وهي قرية سَدوم قوم لوط، أهوى اللّهُ، فأمرَ جبريل عليه السلام، فرفعها من الأرضِ السابعة بجناحه، ثم أهواها مقلوبةً، فغشّى اللّهُ المؤتفكةَ من الحجارةِ المنضودة المسوَّمة ما غشاها، فأمطرها إيّاه من سجّيل[7].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

معنى الواو ودلالتها في قوله: ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ﴾:

في اختلافِ العطف تنوُّعٌ لصورِ عذابِ قوم لوط

الواو في قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ﴾ عاطفةٌ، و(المؤتفكة) معطوفة على ما قبلها من المفردات، فهي منصوبة عطفًا على

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (غشى).
(2) الأزهري، تهذيب اللغة: (غشا).
(3) الخليل، العين: (غشو).
(4) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (عشو).
(5) المطرزي، المغرب: (غشي).
(6) حاشية الصاوي على الجلالين، ص: 1884، وابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 155.
(7) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 22/ 555.

﴿عَادًا﴾، أي: وأنَّه أهلكَ عادًا وثمود وقوم نوح والمؤتفكة، و﴿أَهْوَىٰ﴾ جملة في موضع الحال، توضِّح كيفية إهلاكهم، أي: وإهلاكُ المؤتفكة مهويًّا لها، أو أن تكون جملة: ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ﴾ معطوفة على جملة: ﴿أَهْلَكَ عَادًا﴾[1]، ومن ثمَّ فـ﴿أَهْوَىٰ﴾ ناصبٌ للمؤتفكةِ، وإنَّما أخَّرَ العاملَ لكونه فاصلة[2]، أي: أسقطها اللّٰهُ إلى الأرض مقلوبةً بعد أنْ رفعها على جناحِ جبريل إلى السماء[3]، وهذا العطفُ بيَّن عقوبات اللّٰهِ للأمم المجاوزة في الظلم والطغيان؛ تكثيفًا للحجَّة على قريش، وتخويفًا لهم من عقوبة الاستئصال، وفي اختلاف العطف تنوُّعٌ لصورِ عذاب قوم لوط.

معنى اللام ودلالتها في: ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ﴾:

لام التعريف في ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ﴾ عهديَّة، معهودها ذهني، فهي معروفة بأنَّها مدائنُ قوم لوط، ومشهورةٌ بهذه العقوبة، حتى صار اسمها عَلَمًا على الهلاك، وسُمّيتْ بذلك؛ لأنَّها ائتفكتْ بأهلها، أي: انقلبتْ بهم، ومنه الإفك؛ لأنَّه قلْبُ الحقِّ كذبًا، أفَكَهُ فأتفكَ، قيل: ويحتملُ أن يُراد بها كلُّ ما انقلبتْ مساكنه، ودُمِّرتْ أماكنه[4].

في العهديَّةِ تحويلٌ من الوصف إلى عَلَمٍ على الهلاك

الغرض من حذف المضاف في ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ﴾:

الموصوفُ في قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ﴾ محذوفٌ يدُلُّ عليه اشتقاقُ الوصفِ، والتَّقديرُ: القُرَى المُؤتفِكة، وهي قُرى قوم لوطٍ الأربعُ، وقد صار هذا الوصْفُ غالبًا عليها بالغَلَبةِ، ويَجوزُ أنْ تكونَ المؤتفكةُ هنا وصْفًا للأُمَّةِ، أي: لأُمَّةِ لوطٍ؛ ليكونَ نَظيرًا لذِكْرِ عادٍ وثَمودَ وقومِ نوحٍ[5]، والحذفُ عندما يكون الموصوف معروفًا مشهورًا

في الحذفِ مزيدُ بلاغةٍ وتركيزٌ على الصفة لا الذات

(1) درويش، إعراب القرآن: 9/ 368.
(2) أبو حيان، البحر المحيط: 10/ 28.
(3) الهرري، حدائق الروح والريحان: 28/ 174.
(4) أبو حيان، البحر المحيط: 10/ 28.
(5) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 154.

في أذهان السامعين أبلغُ؛ لكونه يتناسبُ مع السياق القرآني الموجزِ والمهيب، وفيه تركيزٌ على الصفة لا الذاتِ، وهي عقوبة الائتفاك.

الغرض من تقديم المفعول ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ﴾ على الفعل:

تخصيصٌ لقرى لـوط بالائتفاك واهتـمامٌ بعبرة ذلك

قدَّم البيانُ القرآنيُّ المفعولَ به ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ﴾، على الفعل ﴿أَهْوَىٰ﴾؛ للاهتمامِ بعِبرةِ انقلابِها[1]، وللإعلام بتخصيصها بما ذكرَ من العذاب، وهو ائتفاكها بأهلها، بما يفيدُ أنَّه تعالى قادرٌ على كلِّ شيء، فلم يعذِّبْ فرقةً بما عذَّب به الأخرى[2]، ولمراعاة الفاصلة في الآيات[3].

دلالة التعبير بـ﴿أَهْوَىٰ﴾ مادة وصيغة:

تعبيرٌ يفيدُ شدَّةَ إهلاكِ الله لقومِ لوطٍ وتحقُّقه

عبَّر البيانُ القرآنيُّ بالفعلِ ﴿أَهْوَىٰ﴾، ولم يقل: (أسقط، أوقع...)؛ مراعاةً للمقام والسياق، فهي قرى تستحقُّ أشدَّ العذاب، وإهلاكها كان شديدًا؛ إذ فتقها من الأرض، ثم دفعها في الهواء إلى عنانِ السَّماء، ثم قلبها، وأتبعها حجارة النار الكبريتية وغمرها بالماء، وهذا لا يُناسبه لفظ أسقطَ، أو أوقع؛ لأنَّهما لا يُشترط فيهما السقوط من علوٍّ، بخلاف لفظ ﴿أَهْوَىٰ﴾، فهو الطرحُ من هواءٍ عالٍ إلى أسفَلَ، فالهاء والواو والياء أصلٌ يدُلُّ على خُلوٍّ وسُقوطٍ، وأصلهُ الهَواءُ بين الأرضِ والسَّماءِ، سُمّيَ لِخُلوِّهِ، والهَويُّ ذَهابٌ في انحدارٍ[4].

ومجيء ﴿أَهْوَىٰ﴾ بصيغة الماضي على وزن أفعل، وهي صيغة ماضٍ قويُّ الحركة؛ للدَّلالة على تحقُّق الإهواء وعلى سرعته العنيفة، ولمراعاة التناسب مع ما سبق من التعبير بالماضي (﴿أَهْلَكَ﴾، ﴿فَغَشَّىٰهَا﴾، ﴿غَشَّىٰ﴾) بما يحقِّق نسقًا لغويًّا واحدًا، ولربط هذا الحدث بسُنن الله في التاريخ، بأنَّ من كذَّب الرسل؛ أهلكه الله،

(1) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 155.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 79.
(3) أبو حيان، البحر المحيط: 10/ 28.
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (هَوِيَ).

وهذا مهمٌّ في سياقِ السورة التي تخاطبُ كفارَ قريش بالتذكير بهلاك من سبقهم.

معنى الفاء ودلالتها ﴿فَغَشَّىٰهَا﴾:

الفاءُ في قوله تعالى: ﴿فَغَشَّىٰهَا﴾ حرفُ عطف، فيه معنى السَّببيَّةِ والتَّعقيبِ، أي: إنَّ ما غطّاها به من الحجارة والماء كان نتيجةً عن الإهواء وعقبه[1]، وهذا يوحي بشدَّة العقوبة وهولها وسرعةِ حلولها بعد الإهلاك، وكأنَّ الجزاء تتابع بلا مهلة.

في التعقيب والسببية دلالةٌ على شدَّة العقوبة وهولها وسرعةِ حلولها بعد الإهلاك

دلالة التعبير بالماضي المضعَّف ﴿فَغَشَّىٰهَا﴾ وعود الضمير فيه:

تضعيفُ فعل ﴿فَغَشَّىٰهَا﴾، في قوله تعالى: ﴿فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ﴾؛ إن قلنا: للتعديةِ، فإنَّ قوله: ﴿مَا غَشَّىٰ﴾ مفعولًا ثانيًا، والمعنى: ألبسَ اللّٰهُ سبحانه المؤتفكةَ ما ألبسها إيّاه من العذاب كالحجارة المنضودة المسوَّمة[2]، وإن قُلْنا: إنَّه للمبالغةِ والتكثيرِ، فتكونُ ﴿مَا﴾ فاعلةً كقولِه: ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾﴾ [طه: 78][3]، والتعبير بصيغة الماضي؛ لإفادة تحقُّق فعلِ التغشية على المُهلكين، بما يحمله من فنونِ العذاب والحجارة التي وقعتْ عليهم.

تحقُّقُ التصاقِ لباس العذاب وشموله بقومِ لوط وتحقُّق كثرته وشدَّته

الغرض من التعبير بالموصول ﴿مَا﴾ وتكرار ﴿غَشَّىٰ﴾:

آثر البيانُ القرآنيُّ استعمالَ الاسم الموصول ﴿مَا﴾، في قوله تعالى: ﴿فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ﴾، فلم يقلْ: فغشاها بالحجارة أو بالماء؛ لإفادةِ عموم ما غطاها بعد انقلابها وهويّها، من حجارة النار الكبريتية وغمرها بالماء، الذي لا يشبهُهُ شيءٌ من مياهِ الدنيا، أو غير ذلك ممّا لا يعلمه إلّا اللّٰه، ولإفادة التَّهويل من خلال الإبهام[4]، ومن خلال مجيء صلة الاسم الموصول من مادَّةِ الفِعلِ وصيغتِه الَّتي

في الموصوليَّة بيانٌ لعموم ما غشّى قرى لوطٍ وهوله

(1) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 80، وابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 155.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 80.
(3) السمين الحلبي، الدر المصون: 10/ 114، والهرري، حدائق الروح والريحان: 28/ 174.
(4) السمين الحلبي، الدر المصون: 10/ 114.

أُسنِدَ إليها غَشَّى، وهو لا يُفيدُ خَبرًا جديدًا زائدًا على مُفادِ الفِعلِ، وإنَّما يُقصدُ منه التَّهويل، وكأنَّ المتكلِّمَ أرادَ أن يُبيِّنَ بالمَوصولِ والصِّلةِ وصْفَ فاعِلِ الفِعلِ، فلمْ يَجِدْ لبَيانِه أكثَرَ مِن إعادةِ الفِعلِ؛ إذ لا يُستطاعُ وصْفُه لهوله[1]، فهو أمرٌ عظيمٌ من الحجارة وغيرها، لا يسع العقولُ وصفه[2].

(1) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 155.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 80.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والخمسون،
سورة الطُّور من الآية 25 إلى سورة الرَّحمن الآية 30
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والخمسون، سورة الطُّور من الآية 25 إلى سورة الرَّحمن الآية 30
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 58 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-647-62-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 58 : المجلد الثامن والخمسون، سورة الطُّور من الآية 25 إلى سورة الرَّحمن الآية 30.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-647-62-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4238337 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"